

تاريخ القبول: 2020/08/26

تاريخ الإرسال: 2019/10/02

تاريخ النشر: 2021/11/04

## الأفعال المنهجية الإستمولوجية

## Epistemological Methodology

فاروق عقون<sup>1</sup>جامعة باتنة 1 (الجزائر)، الإيميل<sup>1</sup> [farouk.aggoune@univ-batna.dz](mailto:farouk.aggoune@univ-batna.dz)

## الملخص:

يتناول هذا المقال كيفية بناء مسار المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية، أي تحديد المبادئ الأساسية التي ينبغي وضعها موضع التنفيذ في كل ممارسة بحثية للظواهر والعلاقات الاجتماعية، بحيث تفصل فيه الذات عن الموضوع، وهي عملية ركائزها ثلاثة أفعال منهجية إستمولوجية ينبغي على الباحث الاجتماعي أن يمارس الالتزام بها وهي (القطع، البناء، المعاينة أو التحقيق) مع تسليط الضوء على تلك المراحل المنطقية من المستوى النظري التجريدي إلى المستوى الإجرائي التطبيقي.

**الكلمات المفتاحية:** الأفعال المنهجية الإستمولوجية، الإشكالية، المفاهيم، المعاينة

**Abstract:**

This article deal how to instruct a scientific method in the social sciences, that is to say, to clarify the basic principles by putting each research on phenomena and social relations while basing on separate between of subject and the object, and which is an operation that is based on three acts of the epistemological method that the researcher is bound to exercise (rupture - construction- observation and investigation) by highlighting these logical steps of abstract theoretical level at the level practical operation.

**Keywords:** Acts of the epistemological method - the problematic - the concepts - contentions

المؤلف المرسل: فاروق عقون: [FAROUK.AGGOUNE@UNIV-BATNA.DZ](mailto:FAROUK.AGGOUNE@UNIV-BATNA.DZ)

## 1. مقدمة:

يعتمد كل علم في بنائه على مستويين رئيسيين، هما المستوى النظري التجريدي والمستوى التطبيقي الإجرائي، وقد أدرك ابن خلدون ذلك من خلال تأسيسه أولاً علم الاجتماع كظاهرة مستقلة بذاتها يقول بن خلدون في مقدمته " وكان هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني و ذو مسایل، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم وضعياً أو عقلياً (واعلم) أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة.... ولعمري لم أفق على الكلام في مناه لأحد من الخليقة، ما أدري أغفلتهم عن ذلك؟ وليس الظن بهم أو لعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا"<sup>1</sup>

ولم يحدد موضوعه و بيان مسائله فحسب بل وضع لهذا العلم الجديد قواعد منهجية تمكن من خلالها فهم الظواهر الاجتماعية وطبيعتها وكيفية تغييرها، فوضع عدة ركائز تأسيسية وفق تصور منطقي وبذهنية علمية تمثلت في مجملها في قواعد أساسية هي: الشك والتمحيص، تحكيم أصول العادة و طبيعة العمران، و القياس بالشاهد وبالغائب، والسبر والتقسيم، والتعميم الحذر... الخ، كما توصل إلى أسس كان من أبرزها أن المغلوب مولع بتقليد الغالب، وإحداث قطيعة مع التاريخ القائم على العننة ( عن فلان عن فلان)، والاعتماد على الملاحظة المباشرة للظواهر... الخ

أما العلماء الأوائل المؤسسين لعلم الاجتماع كأوجست كونت فقد سعى لوضع دعائم لهذا العلم الجديد، بحيث يحقق علم الاجتماع أهدافه باستخدام

المنهج الوضعي، ويقصد بالمنهج الوضعي التعامل مع الظواهر الاجتماعية بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع الظواهر الطبيعية للكشف عن القوانين التي تخضع لها .

وقد تطور الأخذ بالمنهج العلمي على يد إميل دوركايم حيث يعتبر من أهم العلماء الذين ارسوا دعائم المنهج العلمي في علم الاجتماع، من خلال دراسته لمختلف العلاقات والظواهر الاجتماعية كدراسته لظاهرة الانتحار، وظاهرة تقسيم العمل، ودراسة ظاهرة الدين، استنادا إلى قواعد منهجية والملاحظات المنظمة حول الظواهر الاجتماعية، وصولا إلى استنتاجات وقوانين.

وكانت أبرز القواعد المنهجية التي سطرها لممارسة وإنتاج المعرفة السوسولوجية دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء، فحسب دوركايم فإن:

La méthode sociologique, telle que nous la pratiquons, repose tout entière sur ce principe fondamental que les faits sociaux doivent être étudiés comme des choses <sup>2</sup>

إذا لمنهجية البحث العلمي مسارات تتضمن العديد من الخطوات التي يجب على الباحث الاجتماعي الالتزام بها، إلا أنا أغلب طلبة الدراسات العليا ليس ملمين بقواعد البحث العلمي، ولذلك نجدهم يتخبطون في العديد من خطوات البحث العلمي، فالمتعمن في غالبية الدراسات السوسولوجية الأكاديمية يجد فيها الكثير من الفجوات المنهجية، ومثل هذه الممارسات الخاطئة والفجوات تؤثر سلبا على مصداقية تلك الدراسات.

وهنا نتساءل ماهي القواعد أو الخطوات التي ينبغي على الباحث الاجتماعي أن يمارس الالتزام بها في دراسته للظواهر والأحداث والعلاقات الاجتماعية على المستوى التجريدي وعلى المستوى الإجرائي؟

## 2. أهداف الدراسة:

- تحديد مسارات المنهج العلمي على المستوى النظري التجريدي.
- تحديد مسارات المنهج العلمي على المستوى التطبيقي الإجرائي.

## 2. الملكة السوسولوجية

إن العلم والمعرفة العلمية يمثلان المرحلة الأخيرة من تاريخ الفكر الإنساني الذي أشار إليه أوجست كونت في قانونه المعروف بقانون الحالات الثلاث، والذي ذهب فيه أن الفكر الإنساني قد مر بثلاث مراحل هي: المرحلة اللاهوتية أين بحث العقل الإنساني عن أصول الظواهر وأسبابها كنتيجة لفعل قوى خارقة للطبيعة، ثم المرحلة الفلسفية أو الميتافيزيقية أين سيطرت على الفكر الإنساني التصورات والمفاهيم المجردة، وأخيرا المرحلة العلمية الوضعية، ثم تخلص الإنسان من التفسيرات الغيبية والدينية والفلسفية، والتجأ إلى قواعد المنهج العلمي في التعرف على الأشياء والكشف عن الظواهر لتفسيرها والتنبؤ بها والسيطرة عليها وفقا لقوانين محددة.

أما بالنسبة لغاستون باشلار فإن المعرفة كانت " في البداية مرتبطة بالمجتمع إلا أن العلم له القدرة على الانفصال عن الاحتمالات الاجتماعية وعن تاريخه الخاص، فهناك بعض الظروف وبعض التطورات التي تسمح لبعض الأشخاص أن يكتسبوا روحا علمية وفي النهاية يصبح العلم منفصلا عن المجتمع وحتى ولو لم يكن كذلك في البداية، فالعلم بجذوره في المجتمع وفي ذات الوقت منفصل عنه، إن انقطاع الروابط المعرفية يكون مطلوب حتى نحد من مرحلة التفكير ما قبل العلمي إلى روح العلمية " <sup>3</sup> وعموما ميز غاستون باشلار بين ثلاث مراحل في تكوين العقل العلمي هي:

**المرحلة الأولى:** تمثل الحالة ما قبل العلمية وتشتمل على الأزمنة الكلاسيكية القديمة وعصر النهضة والجهود المستمرة في القرن السادس عشر والسابع عشر وحتى في القرن الثامن عشر.

**أما المرحلة الثانية:** فتمثل الحالة العلمية والتي بدأت في أواخر القرن الثالث عشر وتشمل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وبالنسبة **للمرحلة الثالثة** فهي مرحلة العقل العلمي الجديد ابتداء من عام 1905 حتى بدأت نظرية أينشتاين في النسبية.

ومن المؤكد أن هذا التطور المذهل في الأفكار والمعرفة العلمية الذي أشار إليه كل من أوجست كونت وغاستون باشلار وغيرهم من العلماء حمل معه تطور في المنهج العلمي فهو "تقنية المعرفة، وهو عماد المعرفة العلمية، فهذه الأخيرة لا تكتسب إلا بالمنهج العلمي، وعليها فإن تاريخهما واحد، كما أنهما بالإضافة إلى النظريات والقوانين العلمية تشكل أساس ومحتوى ونسق التفكير العلمي".<sup>3</sup>

وقد حذر بيار بورديو من الجهل بقواعد المنهج العلمي وبناء المعرفة على الأوهام والأحكام الشائعة سواء على المستوى التجريدي أو على المستوى الإجرائي حيث يقول " لا يكون من فعل الباحث السوسيولوجي وهم بناء الوقائع الساذجة بسبب جهله في تطبيق أساسيات هذا العلم، سواء على مستوى ترشيد العقل والأفكار أو على مستوى معرفة الواقع الاجتماعي".<sup>4</sup>

ولاشك في ان تطبيق قواعد المنهج السوسيولوجي في دراسة المجتمع وظواهره تساعد الباحث الاجتماعي على تحقيق قدر من الدقة والتتابع المنطقي، و بالتالي يساعده ذلك على تحقيق الغاية من بحثه في فهم الظاهرة الاجتماعية و تحديد العوامل والظروف التي تتحكم في نشأتها وتغيرها، لذلك جاءت إسهامات بيار بورديو حول الملكة السوسيولوجية أي البناء الذهني والمعرفي المكتسب

للباحث الاجتماعي بمثابة تعزيزا لإسهامات العلماء الأوائل وتأكيدا على أهميتها وهي:<sup>5</sup>

- لا شفافية الواقع: وهو مبدأ تأسيسي أي اجتناب السطحية والغوص في باطن الأمور حتى نستخرج القوانين.

- تفسير الاجتماعي بالاجتماعي: وهو مبدأ تفسيري مهم أي لا يمكن تفسير علم الاجتماع بعلم النفس أو التاريخ، أي يجب أخذ الظاهرة الاجتماعية في حد ذاتها فدوركايم مثلا يبدأ بالإحصائيات كمجموع الانتحار، ومكان وزمان الانتحار ثم يحاول أن يفسر الظاهرة الاجتماعية في حد ذاتها اجتماعيا ويرفض التفسير الماورائية، وذلك أن الظواهر الاجتماعية تتطلب تفسير الاجتماعي بالاجتماعي. لذلك " إذا كان ميدان السوسيولوجيا هو دراسة الوقائع الاجتماعية التي ينبغي أن تفهم بوصفها " أشياء" فعندئذ على السوسيولوجي أن يركز على تفسير الاجتماعي بالاجتماعي، ومن ثم تجنب كل نوع لتفسير خارج- اجتماعي extra- sociale الذي هو ليس من دائرة اختصاصه".<sup>6</sup>

- لا يجب تخليد القوانين التاريخية في الظواهر الاجتماعية: المبدأ الثابت هو التغيير، فالتاريخ في تغيير وفي بعض الأحيان تبلور أشياء لكن لا يمكن أن نجعلها طبيعية وكأننا نقول أن الطبيعة تاريخ.

- دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء: أي دراسة الظواهر من الخارج بمعنى دراستها كمادة ( كأشياء)، من خلال الاعتماد على المنهج الوضعي الذي يعتمد على الملاحظة والتجربة والتكميم الرياضي للوصول إلى قوانين.

- الابتعاد عن الأفكار المسبقة: فلا يعتمد على تجربته الشخصية او على الآراء السابقة في الحكم على الظاهرة، بل يجب أن يعتمد على الدراسة الموضوعية في تقييمه للظاهرة الاجتماعية.

### 3. مسارات المنهج العلمي على المستوى النظري التجريدي

وضع غاستون باشلار سمات المسار العلمي في كلمات " الواقعة العلمية تغزى، وتبنى، وتعاين" أي أن الموضوع على المستوى المنهج النظري التجريدي يقوم على ثلاثة مراحل وأفعال منهجية إبستمولوجية، فتغزى الواقعة بمعنى القطع وافتكاك الموضوع مع الأفكار المسبقة، وتبنى بالفعل، وتعاين أي إثبات وتحقيق الموضوع بالتجريب.

وهذا المسار العلمي أكد عليه بيار بورديو في كتاب *حرفة عالم الاجتماع* على انه عملية قوامها " أفعال ثلاثة ينبغي احترام تسلسلها، وهم يسمون هذه العملية تراتب الأفعال المعرفية (الإبستمولوجية) هذه الأفعال الثلاثة هي: القطع، والبناء، والمعاينة(أو التجريب)<sup>7</sup>، ويعرض فيه للمبادئ الأساسية " العقلانية التطبيقية" في العلوم الاجتماعية ويوضح لمرحل يعتبرها على خط غاستون باشلار ضرورة لإنتاج المعرفة في علم الاجتماع.<sup>8</sup>

وهذا معناه لكي نخضع الممارسة العلمية لقواعد المنهج السوسيولوجي وليس إلى صفات أو تقليد كما لدى أغلب طلبة الدراسات العليا، لا بد من تدريب مستمر للتنبيه المنهجي الذي يفصل بين الأحكام المسبقة الأفكار العلمية، فيُخضع استخدام التقنيات والمفاهيم لاستجواب حول شروط وحدود مصداقيتها، أي بتدريب يعلمنا أن كل عملية مهما كانت روتينية، لا بد من أن يعاد التفكير بها من حيث ذاتها أو من حيث تعلقها بحالة مخصوصة، بمعنى الانتقال من معرفة أقل صدقا إلى معرفة أصدق بتعبير بورديو أو إلى معرفة أصوب أو مصححة بتعبير باشلار.

### 1.3 مرحلة القطع ( افتكاك للموضوع)

وهو الفعل الإبستمولوجي الأول على المستوى النظري التجريدي ويرتكز أساسا على القطع السوسولوجي أي قطع العلاقة مع الأوهام والأحكام المسبقة حول الظاهرة الاجتماعية، وهذا ما دعا إليه بيار بورديو حينما أشار الى أن " التنبه المنهجي الأصولي أهمية خاصة في ميدان علوم الانسان، حيث الفصل بين الرأي العام الشائع والخطاب العلمي أصعب من أي مكان آخر ... إن عالم الاجتماع لا يتخلص أبد من الفكر الاجتماعي العفوي ولا بد له تبعاً لذلك من أن يقيم جدلاً لا هوادة فيه ضد البديهيات المضللة، إن سلطان هذه المفردات الشائعة بالغ القوة، ومن هنا لا بد من الاستعانة بجميع التقنيات المتوفرة لإنجاز القطع المنهجي الذي غالباً ما يحكى عنه ولا يعمل به.<sup>9</sup>

### 2.3 مرحلة بناء (بناء الموضوع)

وهو الفعل الإبستمولوجي الثاني على المستوى التجريدي النظري، ويرتكز أساسا على بناء إطار نظري ونسق مفاهيمي منظم يتكون بتأثير متبادل فيما بينه، وبفضل هذه الإطار النظري بإمكان الباحث أن يبني قضايا تفسيرية لظاهرة ينوي دراستها، وأن يتنبأ بخطط البحث الذي سيطبقه والعمليات التي سينفذها والنتائج التي يجب أن يتوقعها منطقياً في نهاية مرحلة المعاينة، ولهذا فإن بناء موضوع الدراسة في علم الاجتماع يتمثل " في المرور من الحس المشترك إلى الحس العلمي الاجتماعي"<sup>10</sup>

### 3.3 مرحلة إثبات (تحقيق الموضوع)

وهو الفعل الثالث على المستوى النظري التجريدي ويرتكز أساسا على مجمل العمليات (المعاينة، تحليل المعلومات، النتائج) والمتفاعلة فيما بينها باستمرار ففي التابع تتحقق أفعال المسار العلمي الثلاثة عبر تعاقب عمليات إجرائية في سبع مراحل.

#### 4. مسارات المنهج العلمي على المستوى الإجرائي

الأفعال المنهجية الإبتيمولوجية (المعرفية) فصلت من طرف ريمون كيفي Raymond Quivy ولوك فان كمبنهود Luc Van Campenhoudt وفق المنهج العلمي إلى مراحل إجرائية هي (سؤال الانطلاق، مرحلة الاستكشاف، الإشكالية، بناء نموذج التحليل، المعاينة، تحليل المعلومات، النتائج) ولكل واحدة من هذه الخطوات دور مترابط مع الخطوة التي تسبقها والتي تليها وفق منطق يجمع بينها وهي:

#### 1.4 سؤال الانطلاق

لا يختار الباحث الاجتماعي دراسة ظاهرة اجتماعية بمحض الصدفة، بل تكون له صلة بها بصفة مباشرة أو غير مباشرة فالباحثين الذين يدرسون ظاهرة الإرهاب أو الطلاق أو ظاهرة البطالة في الجزائر مثلا يكونون في كثير من الأحيان قد عانوا منها في حياتهم ولهم صلات بها، وبالتالي يسقط الباحثين ذواتهم على البحوث التي ينجزونها.

وقد أشار سيرج بوغام "بأن إقامة علاقة شخصية مع موضوع البحث تجعل الموضوعة عسيرة ولكنها ليست في ذاتها مخالفة لما تجري به العادة، بل لا مفر من أن يجذب عالم الاجتماع الى دراسة الظواهر الاجتماعية التي طبعت عليه أثرها خلال ماضيه أو تلك التي تواصل فعل ذلك في تجربته اليومية، عليه أن يكون قادرا على تحييد أحاسيسه أو أن يكبت مشاعره كما عليه أن يعي تفضيلاته في لحظة تحديد حقل استقصاءاته ذاته وأن يجهد ليعرض بأقصى ما أمكن من الموضوعية حدود العلاقة الحميمية التي يعقدها غالبا مع موضوعه، وتقادي فخاخ علم الاجتماع العفوي".<sup>11</sup>

إذا على الباحث الاجتماعي أن يمارس الالتزام بالحياد العلمي وإقضاء الأحكام المسبقة المستمدة من الخلفيات الفلسفية والأخلاقية والأيدولوجية وذلك بوضع مسافة بينه وبين الموضوع المدروس، وعلى الباحث أن يجتهد في ترجمة مشروع بحثه على شكل فكرة عامة أو سؤال عام ينطلق منه ويحاول به أن يعبر تعبيرا صحيحا قدر الإمكان عما يسعى إلى معرفته وفهمه بصورة أفضل، فلو قلنا مثلا: **تنتشر البطالة بصورة كبيرة في أوساط الجامعيين بولاية باتنة؟**

وهذا القول شائع بناء على تصور نمطي حول الشباب الجامعي في ولاية باتنة، ولكن الباحث الاجتماعي يجب أن يتعامل مع الظواهر والعلاقات الاجتماعية وفق تفكير علمي، وذلك بالاعتماد على الحقائق والشواهد كإحصائيات البطالة في أوساط الشباب الجامعي مثلا والابتعاد قدر المستطاع عن الأفكار المسبقة والصور النمطية للموضوع وكذا المعلومات التي لا تستند على أسس علمية، والابتعاد أيضا عن العواطف لما لها أثر على تحليل الظاهرة الاجتماعية. وترجمة مشروع البحث في شكل سؤال أولي لانطلاق البحث ليس ذو فائدة علمية إلا إذا كان هذا السؤال مصاغا بطريقة صحيحة وتتوفر فيه معايير أو شروط أهمها:

أ. خصائص الوضوح.

ب. خصائص القابلية للتنفيذ.

#### 2.4 مرحلة الاستكشاف

تقوم وظيفة العمل الاستكشافي أو الاستطلاعي على توسيع منظورات الفهم والتفسير والإلمام بفكر المؤلفين الذين يمكن لأبحاثهم ودراساتهم أن تلهم عمل الباحث وتوجهه، كما يمكن من خلالها تسليط الضوء على زوايا من الدراسة ما كان لهذا الباحث أن يفكر فيها.

ويمكن لعالم الاجتماع فيه أن يجمع معلومة خاصة وجاهرة لبحثه، فإذا لم توفر له المعطيات الموجودة بفرضيات مؤكدة بما فيه الكفاية، أو إذا كان يخشى ألا يحدد على نحو صحيح أدوات الملاحظة فسوف يشرع بإجراء تحقيق مسبق، أي أنه سيقوم بعملية استطلاع للميدان، محاولاً التحرر من أفكاره المسبقة، أو كما أشار بيكون "من مفاهيمه المسبقة، على نحو يظهر فيه العوامل أو المتغيرات التفسيرية التي يبحث عنها".<sup>12</sup>

ولكي نستكشف الميدان لنبني تصورنا حول إشكالية البحث لابد أن يتضمن الاستكشاف عمليات القراءة والمقابلات الاستكشافية وبعض المناهج المتممة له والمرتبطة به، والهدف الذي ترمي إليه عمليات القراءة هو بصورة جوهرية ضمان الجودة في طرح الأسئلة، بينما تساعد المقابلات والمناهج المتممة على الاحتكاك بالواقع كما يعيشه الفاعلون الاجتماعيون، وبالتالي تساعد الباحث على تبني مقارنة لموضوع .

#### 3.4 الإشكالية:

تعتبر الإشكالية من أهم الخطوات أو المحطات في البحوث الاجتماعية، فتوضيح الإشكالية يعطي للبحث الأرضية النظرية الأساسية الذي يبنى عليه التحليل السوسولوجي، لذلك نجد أنه من الضروري في بدايات العمل الاجتهاد في توضيحها، فبقدر وضوح الإشكالية يكون الجانب النظري الذي يسبق ويبرر نوع التحليل والفرضيات ويمكن بالتالي التحقق من مصداقيته.

لذلك يرى عبد الله إبراهيم أنه يواجه التعرف الى الإشكالية المأزق التالي: لا معنى لتقديم معنى الإشكالية قبل معرفة معناها، وإذا لم يكن الباحث قادراً على ممارستها، أو قادراً على كشف وجودها في البحث، أي إذا لم يكن الباحث يعرف معناها، فلا معنى لأي معنى يقدم إليه... إن وعي هذه العقبة المعرفية الخاصة،

يسمح بالكشف عن المعنى في الإشكالية، فما هو هذا المعنى؟ إنه يمثل في

الحقيقة نقطة التقاء، وتقاطع لخمس من المعاني دفعة واحدة.<sup>13</sup>

**المعنى الأول:** يدرس موضوعات تحتوي إشكالية من الجزء الى الكل.

**المعنى الثاني:** يدرس موضوعات تحتوي إشكالية من الكل المجتمعي إلى الجزء.

**المعنى الثالث:** يبني موضوعا يتضمن الإشكالية التي تعود إلى تيار من التيارات، أو

مدرسة من المدارس.

**المعنى الرابع:** يقدم إشكالية تعود الى موضوع البحث في ذاته.

**المعنى الخامس:** العائد إلى الباحث نفسه الذي يقدم إشكاليته وحبكة فهمه

الخاصة.

إذا إجمالاً الإشكالية في مفهومها هي المقاربة أو المنظور النظري الذي

قررنا تبنيه لمعالجة المشكلة المطروحة أو الظاهرة المدروسة عبر السؤال الأولي،

وهي تشكل مرحلة مفصلية في البحث تقع بين القطع و البناء.

#### 4.4 نموذج التحليل

لبناء نموذج التحليلي نبغي أن تستغل المنظورات والأفكار الجديدة على

النحو الأفضل لفهم الظواهر الاجتماعية التي تستأثر باهتمام الباحث ودراستها

دراسة دقيقة وإلا فإنه لا طائل فيها، إذا ينبغي ترجمتها إلى لغة والتعبير عنها في

أشكال من شأنها توجيه العمل المتعلق بجمع وتحليل معطيات المعاينة أو التجريب

الذي يجب أن يأتي بعدها، هذا هو الغرض من مرحلة بناء نموذج للتحليل.

إنها المرحلة التي تكون نقطة اتصال بين الإشكالية المعتمدة من قبل الباحث

من جهة وعمله التوضيحي في مجال التحليل، والمجموعة المتناسكة والمبنية من

مفاهيم وفرضيات متصلة فيما بينها تكون ما نسميه في البحث نموذج التحليل،

بناء هذا النموذج يعني إذا إعداد نسق متماسك من المفاهيم والفرضيات  
العملانية.<sup>14</sup>

إذا يتألف نموذج التحليل من مفاهيم وفرضيات غير قابلة للانفصال متصلة  
فيما بينها اتصالاً وثيقاً حتى تكوّن معاً إطاراً للتحليل منطقي ومتماسك فيما بينها  
بعلاقات مفترضة لتغطية مختلف جوانب المسألة، وبدون هذا الجهد لتأمين  
التماسك يمكن أن يتبعثر البحث ويذهب في شتى الاتجاهات، وسرعان ما يعجز  
الباحث عن أن يصل بعمله إلى البنية المطلوبة.

وليس هناك من معاينة أو تجريب لم يرتكز على الفرضيات وعندما لا تكون  
هذه الأخيرة صريحة فإنها تكون موجودة ضمناً أو أسوأ من ذلك موجودة في  
اللاوعي، وعندما لا تكون مبنية بشكل صريح فإنها تقضي إلى طرق مسدودة و  
إلى جمع معلومات جزئية ومتحيزة، أو بكل بساطة لا يمكن استغلالها ولا تستطيع  
أن تثبت أي شيء اللهم إلا الأحكام المسبقة التي قادت عملية جمع المعطيات.<sup>15</sup>  
وهذا ما أشار إليه بيار بورديو حينما تناول مسألة الفرضية أو الافتراض المسبق  
حيث يرى أنه " من السهل أن نبين أن أية ممارسة علمية بما فيها على الأخص  
تلك التي تعنون نفسها زوراً بالتجريبية الأشد زيفاً، لا تستغني عن المسلمات  
النظرية وأنه من غير الممكن أن يختار عالم الاجتماع بين تساؤلات لا واعية غير  
متناسقة أو مضبوطة وبين جسم من الفرضيات التي تبنى منهجياً لغرض الاختبار  
التجريبي، أما في حال رفضنا الصياغة الصريحة لجسم من الفرضيات المسندة  
لنظرية معينة فإننا سوف نصل لا محالة إلى نوع من المسلمات لا تختلف أبداً عن  
المفردات الخام التي تحفل بها المعرفة الاجتماعية الشائعة أو الأيديولوجيا السائدة،  
أي تلك الأسئلة والمفاهيم التي يحملها المرء بوصفه إنساناً في - المجتمع بعد  
رفضه للمفاهيم المرتبطة بدوره كعالم.<sup>16</sup>

## 5.4 المعاينة

تهيئ هذه المرحلة البحث للانتقال إلى الدراسة الميداني، وهي محطة مهمة إذ من خلالها نتمكن من جني وجمع المعطيات وتقنيات تقصي المعلومات فهي " إحدى الوسائل الهامة في استقصاء المعلومات من الوقائع الاجتماعية وفق طريقة منهجية حيث تعتبر إحدى الركائز الأساسية للدراسة النظرية " <sup>17</sup>.

ولكل بحث ما يناسبه منها وذلك يعود إلى طبيعة الفرضيات التي يسعى البحث إلى إثباتها، وما على الباحث إلا اختيار التقنيات والأدوات المناسبة وهو اختيار يجب أن يسبق العمل الميداني.

وقد يضطر الباحث إلى استخدام أكثر من وسيلة لجمع المعلومات وبالتالي فإن اختيار طريقة ما، لا يعني أنها أفضل من غيرها بقدر ما يعني أنها في نظره تناسب بحثه وتستطيع تزويده بالمعلومات والمعطيات التي يسعى إلى الحصول عليها، كم أنه من المستحسن أخذ رأي الخبراء في هذا المجال.

إذا هذه المرحلة أو الخطوة الانتقالية يتم فيها التحضير لمرحلة البحث الحقلية الميداني، وفيها على الباحث أن يمتلك إجابات واضحة عن ثلاث أسئلة: ماذا؟ ومن؟ وكيف؟

فمعرفة ماذا أريد أن أجمع من معطيات ومعلومات لاختبار الفرضيات الخاصة بالبحث تحدد مجال الاستقصاء والمؤشرات القادرة على خدمة البحث، وعلى الباحث أن يختار ما يناسب البحث وما يساعده من مفاهيم ومتغيرات، وكلما كانت إشكاليته وفرضياته واضحة ودقيقة نجح في تحديد المعطيات اللازمة لبحثه. أما معرفة من أتوجه إليه لجمع المعطيات فيتطلب حصر الحقل التحليلي التجريبي ضمن موقع جغرافي واجتماعي محدد بزمن معين، إذا يجب تحديد

الإطار المكاني أو الحقل للبحث، والإطار الزمني، ثم تحديد المجتمع الإحصائي المعني بموضوع البحث.

وأما معرفة كيف يتم جمع المعلومات فهذه الكيفية مرتبطة باختيار التقنية الملائمة بالإمكانات المادية والبشرية المتوفرة لتنفيذ البحث.

وبالنسبة الى كيفية الاستقصاء وجمع المعطيات، فذلك يتم عن طريق بناء وسائل قادرة على جمع أو إنتاج المعلومات الواردة في المؤشرات في المعاينة غير المباشرة تكون الأداة إما استمارة بحث وإما دليلا للمقابلة وكلاهما يقوم بوظيفة إنتاج أو تسجيل المعلومات التي تستلزمها الفرضيات وتحددها المؤشرات.

وإجمالاً فإن أدوات المعاينة مجموعة وسائل تقصي يلجأ إليها الباحث، يسعى من خلالها للوصول إلى الواقع بغية التحقق من الفرضيات أو أهداف البحث، كما أن اختيار هذه التقنيات يتم أساساً على ضوء الفائدة منها بالنسبة إلى تحديد الإشكالية، إلا أنه يمكن للعوامل المادية أن تقلص من فرص تطبيق بعض هذه التقنيات، كما يمكن للقدرات الشخصية أن تتدخل هي الأخرى في توجيه ميل الباحث الى استعمال تقنية معينة دون أخرى، وكذا غزارة المعطيات التي نسعى للحصول عليها ونوعها تدفعنا للاعتماد إما على تقنية معينة بدلاً من أخرى أو استعمال أكثر من تقنية واحدة.

#### 6.4 تحليل المعلومات

هدف البحث هو الإجابة على السؤال الذي طرح عند انطلاق العمل، ولهذا يصوغ الباحث فرضياته ويقوم بما تتطلبه من معاينات، ويتعلق الأمر بعد ذلك بالنظر فيما إذا كانت المعلومات التي تم جمعها تتوافق بشكل جيد مع الفرضيات أو بعبارات أخرى، فيما إذا كانت نتائج المعاينة تتوافق مع النتائج المتوقعة بالفرضية، إذا الهدف الأول لمرحلة تحليل المعلومات هذه هو التحقق التجريبي

( الإمبريقي ) ... ولتحليل المعلومات ووظيفة ثانية هي: تفسير الوقائع غير المتوقعة، وإعادة النظر أو التدقيق في الفرضيات حتى يتسنى للباحث في خاتمة البحث اقتراح ما من شأنه تحسين نموذجه الخاص في التحليل أو اقتراح مجالات للتفكير والبحث في المستقبل هذا هو الهدف الثاني لهذه المرحلة الجديدة.<sup>18</sup>

ولتحليل المعلومات ثلاث مراحل:

أولاً: عمليات تحضير المعطيات وتشتمل على الوصف والتجميع، فلاختبار فرضية من الفرضيات ينبغي إبراز كل طرف من طرفيها بإجراء محدد لكي تتمكن من فحص العلاقات القائمة بينهما، وهذا بالضبط ما يستهدفه الوصف والتجميع في عملية تحضير المعطيات.

إن وصف معطيات أحد المتغيرات يعني إبراز توزعها بمساعدة جداول أو رسوم بيانية وكذلك إظهار هذا التوزع بتدبير تألفي كما يقول كفي، إذن ما هو جوهر في هذا الوصف يقوم على إبراز خصائص توزع المتغير بشكل جيد.

ثانياً: تحليل العلاقات بين المتغيرات التي ينبغي أن نقيم بينها علاقة، فهي إذا تلك التي تتوافق مع طرفي الفرضية أي إما المفاهيم التي تتضمنها الفرضيات، وإما المؤشرات أو الخواص التي تحدها.

ثالثاً: مقارنة نتائج المعاينة مع النتائج المتوقعة وتفسير الفروقات، فنتائج المعاينة هي تلك التي تنتج عن العمليات السابقة وبمقارنة هذه النتائج بالنتائج المتوقعة من خلال الفرضية يمكن استخراج الخلاصات النهائية، فالباحث لا يتوقف عند وصف وتصنيف المواضيع والظواهر الاجتماعية، بل يسعى إلى الوصول إلى تفسيرها لهذا يمثل التفسير القلب النابض للمسعى العلمي كما أشار موريس أنجريس.

#### 7.4 الخلاصات

إن النتائج في الممارسة البحثية تسعى لتوضيح العناصر التي أتاحت للبحث التعرف بشكل أفضل على هذا الموضوع، هذه الإسهامات الجديدة لها طبيعة مزدوجة هي من ناحية تضاف إلى المعارف السابقة المرتبطة بموضوع التحليل، وهي من ناحية أخرى تدقق وتصحح وتضع المعارف السابقة أحياناً موضع التساؤل بشكل أوسع وأعمق.

فالخلاصات تقدم من خلالها حوصلة لتحليل المعطيات وتأويل النتائج، إننا نستنتج أهم ما يجب الاحتفاظ به في البحث، بحيث أن التحليل يتضمن تفكيك الظاهرة إلى أجزاء ومن جهة أخرى فإن هذا الحوصلة تعني إعادة تركيبها لإظهار العناصر الأساسية في سير الظاهرة، فالأمر لا يتعلق بتلخيص التقرير، ولكن بضبط جوهره انطلاقاً مما تم تحليله و تأويله، وهنا يعطى التقييم النهائي للفرضية، كما نسجل أيضاً المعارف الجديدة المكتسبة من خلال تجربة البحث " كما نقترح في الخاتمة آفاقاً للبحث ولؤلئك الذين يريدون التعمق في المسألة، والمنتظر هنا هو تلك الامتدادات الممكنة للبحث، أي ما يجب القيام به من أجل اكتشافات أكثر عمقا للموضوع.<sup>19</sup>

### 5. خاتمة:

توصلنا من خلال هذا المقال على أن المنهج العلمي ليس مجرد مقولات أو تقنيات وأدوات جامدة تطبق عشوائياً، كما أنه ليس وحده كاف حتى ننجز بحثاً علمياً موضوعياً، بل هو جزء من سياق بحثي أوسع وأعمق، كما أنه لا يضرب في فراغ ولكنه ينطلق من أرضية مفاهيمية ومعرفية له شروطاً ونظريات وأفعال منهجية إبستمولوجية على الباحث الالتزام بممارستها والإحاطة بها، بما يحقق الموضوعية و التوجه نحو الارتقاء العلمي سواء على المستوى النظري التجريدي أو على المستوى الإجرائي التطبيقي، وقد يكون هذا أمراً عسيراً ولكنه الطريق الوحيد الذي يميز بين

التفكير العلمي والحصول على الحقائق الاجتماعية والتفكير الغير علمي، لذلك على كل على باحث اجتماعي أن لا يبقى بذهنية تراثية تقليدية بحثه، بل يرقى إلى أن يكون بذهنية متفتحة تمكنه من مراقبة عمله العلمي بصورة ذاتية، من خلال الالتزام بالأفعال المنهجية الإستمولوجية حتى تكون دراساته ذات جودة وأصيلة، فمقدار أصالة الدراسة بمقدار التزامها بقواعد المنهج العلمي.

### التوصيات

\*الالتزام بمسارات البحث العلمي خاصة في الدراسات السوسيولوجية الأكاديمية، لكي تكون لها مصداقية علمية.

\*تدريب طلبة الدراسات العليا كيفية استخدام الأفعال المنهجية الإستمولوجية، سواء على المستوى التجريدي أو على المستوى الإجرائي.

\*الاهتمام بمادة منهجية البحث العلمي وزيادة الحجم الساعي لكل الأطوار الجامعية.

### 5.المراجع

- <sup>1</sup> ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة لبنان، ص ص 61- 162
- <sup>2</sup>E, Durkheim, Le Suicide, Paris, puf.p5
- 3/ ابراهيم ابراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان ص ص 65-66
- 4/ P, Bourdieu, La misère du monde , paris , le seuil , 1993 , p 918 .
- 5/بوزيدة عبد الرحمان، محاضرات في المنهجية المعمقة، 2010/2009
- 6/ فيليب ريتور، الدرس الأولى في علم الاجتماع، تر: محمد جديدي، دار الأمان، ص 29
- 7/ ريمون كيفي ،لوك فان كمنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، تر: يوسف الجباعي، ص 29
- 8/ سعيد الكواكي، بيار بورديو: بناء الموضوع في علم الاجتماع، موقع www.ahewar.org

- 9/ بيار بورديو وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، تر: نظير جاهل، دار الحقيقة، ص  
ص19-20
- 10/ سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة،  
ص 32-33
- 11/ سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 32
- 12/ ريمون بودون ورينو فيول، طرائق في علم الاجتماع، تر: مروان بطش، مجد المؤسسة  
الجامعية للدراسات والنشر، ص 12-13
- 13/ عبد الله إبراهيم، علم الاجتماع ( السوسيولوجيا)، المركز الثقافي العربي، ص220
- 14/ ريمون كيفي، لوك فان كمبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص  
142
- 15/ ريمون كيفي، لوك فان كمبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق ص  
164
- 16/ بيار بورديو، حرفة عالم الاجتماع، مرجع سابق، ص50
- Les règles de la méthode sociologique E. Durkheim, /17  
.Flammarion.p11
- 18/ ريمون كيفي، لوك فان كمبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق،  
ص249
- 19/ موريس أنجريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية - تدريبات عملية، تر:  
بوزيد صحراوي وآخرون، ص 442